

تلازم الإسلام والعربية؛ يشهد به جمهاينة العجم

للكتر مصطفى جواد

عضو المجمع العلمي العراقي

اذاعت بعض وزارات الاعلام في كثير من العواصم العربية نص الاستفتاء حول تلازم الإسلام واللغة العربية كما نشرته صحف ومجلات مع ردود عليه لم نتوصل بأصلها نخص منها هذه الكلمة القيمة للدكتور مصطفى جواد عضو المجمع العلمي العراقي في مجلة الاذاعة والتلفزيون التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد البغدادية ونحن ننشرها شاكرين :

اللغة العربية الإسلام أينما سار في سائر النواحي والبلاد والاقطار ، وكانت الفتوح الإسلامية فتوحا للغة العربية في بلاد الفرس وبلاد الترك وبلاد الهند وشمال أفريقيا وبلاد الاندلس ، وتوغلت العربية في بلاد الصين مع صلات التجار القاطنين للبحار ، حتى لقد ذكر ابن بطوطة الرحالة أنه سمع مفسيا في الصين يتفنى باللغة العربية في الثلث الاول من القرن الثامن للهجرة .

وبعد هذا التمهيد يحق لنا أن نقول أن علاقة الإسلام باللغة العربية وثيقة جدا ، فالإسلام كان أعظم الأسباب في انتشارها في المشارق والمغرب ، وقضائها على عدة لغات قديمة ، وأقبال غير العرب على دراستها والتأليف في كل الفنون بها حتى نحوها وصرفها ، ولذلك كان الشعوبيون وهم ملاحدة يرون في اللغة العربية غولا تفتال لغاتهم ، فكانوا يقاومونها ويبغضون المعنيين بها كما يبغضون أهلها العرب ، ويحتقرون الذي يتكلم بها ، قال الامام ابو القاسم محمود بن عمر التركي الزمخشري في مقدمة كتابه الفصل : « الله أحمد على أن جعلني من علماء العربية ، وجبلي على الغضب للعرب والعصبية ، وآبى لي أن انفرد عن صميم انصارهم وامتاز وانضوي الى لقيف

علاقة الإسلام باللغة العربية كعلاقة الشجرة بأرضها ، فلا تحيا الشجرة من غير أن تستقر في أرض تنضم على نواتها أو تحتضن غرسها حتى يستمر نموها وتطلع ثمارها أو تزهر أزهارها ، فلا شجرة بغير أرض ولا اسلام بغير العربية ، وكيف لا يصح هذا القول ، وأول ركن من أركان الإسلام هو الشهادتان شهادة الإلهية لله تعالى وشهادة النبوة لمحمد رسول الله - عليه السلام - ولا يكسوان إلا باللغة العربية ؟ وكيف لا يصح والقرآن الكريم عماد الإسلام أنزل باللغة العربية ، ودعا كل مسلم الى فهم الفروض الإسلامية والواجبات الدينية وهي في القرآن ، وأكثر الامور الإسلامية المفصلة ، والآداب المحمدية المحصلة المذكورة في السنة النبوية وهي باللغة العربية ؟ فانهم على تجويزهم رواية الاحاديث النبوية بالمعنى أوجبوا أن يكون بدلها من اللغة العربية أيضا .

وهذه الصلاة في أوقاتها الخمسة وهي من أركان الإسلام والحج والعمرة لا تكون إلا باللغة العربية فضلا عن القنوت والدعاء ، والتضرع والرجاء ، هذا في الامور الاخرية ، أما الشؤون الدنيوية كخطبة الزواج والاقضية والمعقود ومحاضر الاحكام فلم تكن إلا باللغة العربية ولا تزال كذلك ، فلا عجب أن سايرت

وواحدة هاتيك تكفيك حجة
بساطهما تشق عنك الحنادس

اجل رسول منهم وبلسهم
اجل كتاب فاعتبر يا منافس
وقل للشمويين ان حديثكم
اضاليل من شيطانكم ووساوس

فمنذ عصر الزمخشري والعصور التي قبله
والعصور التي بعده حتى هذا العصر كانت محاربة
الاسلام في كثير منها محاربة للعربية لانها دائما وابدا
اليه تستند وعليه تعتمد ، كما ان محبة العربية تنشأ
عن محبة الاسلام والمسلمين ، قال الثعالبي في مقدمة
فقه اللغة : « انه عز وجل لما شرف العربية وعظمتها ،
ورفع خطرها وكرمها ، قيض لها خزنة وحفظة من
خواص الناس واعيان الفضل وانجم الارض ، فسوا
في خدمتها الشهوات ، وجابوا الفلوات ، ونادموا
لاقتنائها الدفاتر ، وسامروا القماطر والمحابر ، وكدوا
في حصر لغاتها طباعهم ، واسهروا في تقييد شواردها
اجفانهم ، واجالوا في نظم قلائدها افكارهم ، وانفقوا
على تخليد كتبها اعمارهم ، فعظمت الفائدة ، وعمت
المصلحة وتوفرت العائدة ، وكلما بدت معارفها تنتكر ،
او كادت معالمها تستتر ، او عرض لها ما يشبه الفترة ،
رد الله تعالى الكرة ، فاهب ربحها ، ونفق سوقها » .

فالعربية لغة مقدسة شرفها الله وعظمتها بان
جعل الاسلام مستندا اليها ، في قرآنه وايمانه وسنته
وبيانه ، واحكامه ونظامه ، فمحبتها واجبة ، على كل
مسلم ومسلمة ، ورعايتها لازمة راتبة ،
وهي والاسلام متلازمان وفي الناس من اهل الملل
الاخري من يكره العربية لكراهيته للاسلام ، ومن
الناس من يبغض الاسلام لبغضه العربية وهم اكثر
من اولئك ، فمنهم من يدعو الى اللهجات العامية ومنهم
من يدعو الى الاستبدال بحروفها ، وبعض الدول دعت
الى تركها بته وترك خطها بمره لكراهة زعيمها
للالسلام . فالتلازم ظاهر في كل الاحوال وفي كل
مجال ، وقد انزوت اللغة العربية منذ عدة عصور من
عدة بلاد بسبب التعصب للقومية ، والدعوة الى عصور
الجاهلية ، والانتقام من العربية بما فتحت من بلاد ،
ونشرت من آداب ، ووطدت من الاسلام ، وبثت من
علوم ، واوهنت او اهلكت من لغات .

الشعوبية وانحاز وعصمني من مذهبهم الذي لم يجد
عليهم الا الرشق بالسنة اللاعنين ، والرشق بأسنة
الطاعنين ... ولعل الذين يفضون من العربية
ويضعون من مقدارها ، ويريدون ان يخفضوا ما رفع
الله من منارها ، حيث لم يجعل خيرة رسله وخير
كتبه في عجم خلقه ولكن في عربيه ، لا يبعدون عن
الشعوبية منابذة للحق الابليج ، وزيفا عن سواء المنهج ،
والذي يقضى منه العجب حال هؤلاء في قلة انصافهم ،
وفرط جورهم واعتسافهم ، وذلك انهم لا يجدون
علما من العلوم الاسلامية : فقهها وكلامها وعلمي
تفسيرها واخبارها الا وافتقاره الى العربية بين
لا يدفع ، ومكشوف لا يتقنع ويرون الكلام في معظم
ابواب الفقه ومائلها مبيحا على علم الاعراب ،
والتفاسير مشحونة بالروايات عن سيويه والافخش
والكسائي والفراء وغيرهم من النحويين البصريين
والكوفيين ... فهم متلبسون بالعربية اية سلكوا
غير منفيين منها اينما وجهوا ، كل عليها حيثما
سيروا ، ثم انهم في تضاعيف ذلك يجحدون فضلها ،
ويدفعون خصلها ويذهبون عن توقيرها وتعظيمها ،
ويتهون عن تعلمها وتعليمها ، ويمزقون اديمها ،
ويمضفون لحمها ، فهم في ذلك على المثل السائر
(الشعر يؤكل ويذم) ويدعون الاستغناء عنها ، وانهم
ليسوا في شق منها ، فان صح ذلك فما بالهم لا يطلقون
اللغة راسا والاعراب ، ولا يقطعون بينها وبينهم
الاسباب ، فيطمسوا في تفسير القراء آثارها ،
وينفضوا من اصول الفقه غبارها » .

وقال الزمخشري بمدح لسان العرب : اللغة
العربية :

وقل هل فشا في الارض غير لسانهم
لسان يشع الضوء واليوم شامس ؟

به عج في امصارهم كل منبر
وطنت به في الخافقين المدارس

على ظهرها لم يخلق الله امة
تناسبهم في خصلة او تلابس

يقايس بين الناس حتى اذا انتهى
الى العرب المقياس طاح المقياس